الصوفي حليق الذقن

برزخيات

هاني السالمي

أن تكتب رواية تحتاج وقتا طويلاً وهذا محال في عصر السرعة، القصة القصيرة صعبة جداً لأنها لا تحتمل الخطأ، أما الشعر فأنا لا أعرف سوى البحر الأبيض المتوسط، أما بالنسبة للنص المفتوح أخاف من المشاكل التي ستهب عليّ من فقهاء النقد، والخاطرة تحتاج حبيبة، فكان عليّ أن أكتب البرزخيات.

حين تملك الكلمة تملك الشكل الأدبي، عليك أن تكون متجدد على الشكل الأدبي المعتاد، فقد تقرأ كتاباً من صفحات لا تُعد، لا يعلق بك إلا الفكرة، أو شكل البطل، البرزخيات تجديدا خارج السرب وخارج القوالب التي فرضت علينا.. فكان النص البرزخي هو نص سريع باتجاهات أربع يمكنك أن تقرأه شعرا، أو سردا، أو معا، أو لا شعر ولا سرد، يعتمد عليك لو صرت أنت البطل حين تقرأه، أنت وحدك يمكنك أن تقرر ما هذا. كلنا نكتب البرزخي حين لا نجد نهاية لقصصنا المركونة في الدرج، وحين نملك النهاية ولا نقدر على خلق أبطال وأحداث يكون نص برزخي، هو مساحة جديدة لنكتب دون أن نصل لإرضاء الناقد ولنكسر المسطرة وقت الكتابة أو ميزان الذهب.

ابق هنا يا سيدي... لتصلح المصعد للمتنبي فهو قادم ليشاركني في وضع إكليل من كلمات على فقدان شهوة الكلام أمام سيل ملامح الخائفين من تكرار وجع الانتظار...

ابق هنا يا سيدي... لتحشو الرصاصة الأخيرة لنطلقها على الشجرة القديمة التي حولت ثمارها صورا للغائبين...

ابق هنا يا سيدي... لتلمع معي زجاج النوافذ العالية.. فلم نعد نرى رقصة الستائر مع الضوء الخافت أمام المقاعد الخالية..

ابق هنا يا سيدي... لنكسر قدم الحزن ونلفها بجبيرة بيضاء ونكتب عليها لا تأتي غدا فحن نعد صحنا من الفيشار الملونة لنزهة في المنتزه القديم...

ابق هنا يا سيدي لنرتب خراطيم المياه في المدينة فالحرب الأخيرة كانت عطشى لأنها لعقت ملح أرواحنا...

ابق هنا يا سيدي لتعلمي ركوب الدراجة فمن أحبها
كلاسيكية وتحب أكل الفستق المالح في قراطيس
من ورق الجرائد...

اتفاق مؤقت، يدك طرية ومعطرة وحقول القمح أمامك، فاطحني نقش الخطوات رغيفاً مبللاً بالحكايات الدافئة، وقدمي ليّ الطعام بصمت صائد الغزلان الشقية، ولا تحرمي قوس قزح أين يمرّ فوق ضفائرك فالألوان تحتاج أيضا قيلولة في نهار الشتاء.... اسمحي لعصفور المنفى أن يشرب من كلامك زقزقة... ويفتش في حدائق النعناع اليانعة على كتفك عن زلزالٍ صغير ليعيد رسم الخرائط القديمة لتليق لحفل زواج القنافذ الشوكية.

أحد عشر يوماً يا هذا، ونحن نعلق رؤوسنا خارج النوافذ نراقب الطائرات، وصوت المذياع يعد لنا كم فتى صار ضباباً أبيضاً على شكل يد تلوح لنا، الكلام يتكوم في حناجرنا كالأعشاش المهجورة، بالإشارة أبلغت صغيرتي أن تضع المساند فوق رأسها حين تسمع صوت الانفجار، ولا تركض ناحية صراخ الجيران، وقتها حفظت كم كتاباً على الرف، وكم شقوق في جدران غرفة الضيوف، وعرفت أن بائع الطلاء غشني في البنفسجي، صرت أحب الجلوس في بيت الدرج، يا الله أن تجلس يوماً كاملاً على درجة واحدة لا تتحرك وأنت تتفقد لون جلدك البني الذي صار باهتاً كأنه شراع قارب يقاوم الملح والشمس، كنا نتمنى أن يمضي الليل بسرعة كذوبان السكر في كوب الشاي الصباحي، لأننا في النهار نكون أكثر جمالاً نليق لحفلة وداع النساء والبيوت المدمرة.

أخشى أن هذا لا يعني لك كثيرا، فأنا لا أحب شرائح التفاح، ولا أحب صور الراحلين في إطارات مذهبة، ولا أحب الانتظار أمام المقهى الزجاجي فيصير وجهي زجاج من النظرات، ولا أدخل المساجد التي يسرق بها الأحذية، ويزعجني الوقت المهدور في كيّ ملابس المناسبات، وأشعر بالملل بعد إصلاح شقوق فنجان القهوة الخزفي، أستخدم المصاعد كثيرا فماذا لو تعطل وأنا مصاب بضيق تنفس وراثي، ولا أحب الفاصلة المنقوطة فأنا لا أجيد تفسير الحوادث السريعة.. ولا أحب أن أقرأ عن أشياء لم أجبرها مثل الموت والمال وإصلاح الهواتف الذكية وأنتِ أيضا...

أدب أطفال

لماذا صغيرتك حافية القدمين، لأن سندريلا استعارت حذائها لتلحق بالأمير الذي تاه عنها في غابات الفطر المرقط، في الحقيقة أننا في المخيم لا نحتاج للأحذية لأن المسافة بين بيت جدّتي وبيت أبي تساوي ثلاث قفزات من أرنب مسرع، ومن بيتي إلى باب مركز توزيع المساعدات لا تتعدي وجع حقنة مهدئ السعال.

لكن أولاد المخيم عرفوا بأن سندريلا لم تعد حذاء صغيرتي في الوقت المحدد، فركضوا خلفها بعد أن غيروا أشكالهم إلى أبطال فليم كرتون ملون، ومرّت أيام وأيام ونحن ننتظر عودتهم من غابات الفطر المرقط، (يبدو أنهم وجدوا حياة أسهل في عالم الكرتون بها طعام وملابس) لم يعودوا وبقت صغيرتي حافية القدمين.

ادفع ماضيك من أعلى شرفة في البيت وتنفس.. ألم يكفك أنك تنام كالدلفين مفتوح العيون.. وطرزت حروف أسمك على الظل السريـع.. لم ترحمك حدائق القمح التي نبتت على ياقة قميصك... وتعمدت فرقعة أصابعك لتلفت المارة بأن لا يدوسوا على طرف ظلّك وقت الظهيرة..

لم أقدر أن أكمل هذا النص...

لأن كتلة الماضي سقطت على رأسي...

أربط بوق السيارات في قدمي...

وأهش غبار الرصيف عن آخر سيدة خرجت من عاصفة النرجس... وأجدل ما تبقى من ضغط الدم الذي يسري بي...

بوجع القلم الذي ألقاه الفتى في جوف السراب... لأصنع تمثالا من حديد لامعٍ يشبهني... فيأتي المارة ويطرقون بأصابعهم عليّ لحناً لم يلق للرجال الذين أغلقوا النوافذ أمام قطط الزينكو...

* الزينكو هو عطاء البيوت القديمة من الحديد الخفيف...

اسرقي لي صحناً من المكسرات المعدُ لليل والسمر.. وبعضاً من قصص الجالسات، وشجاعةَ العذارى الاتي تمارس وضع المكياج لأول مرة.. وبهجةَ العروس وحزنَ أمها وقليلاً من الحناء التي بعثرها الأطفال... وثرثرةَ الخالات المهيئات لتمزيق البالونات وركل الكراسي... وانتباه الجدة التي تجلس عند حافة الباب تتفقد صغار بناتها المشغولة بكي شعرهن القصير واختيار فساتين الرقص المناسبة.. واسرقي لي لمعةَ الورد البلاستيكِ المستعار من جارتنا المصرية... ونشاط الصغيرات الاتي طحن خصرهن في الرقص.. واسرقي لي الطبلة المركونة على سطح الخزانة فقد بدلها الوقت بأغاني المهرجانات...

وحين تحضرين ما سرقتي ستجديني في بيت العزاء أجلسُ مع فقاء اللغة..

أكتب بأرنبة أنفي...

لأنك لم تولد يميني اليد... أستخدم يدي اليسرى وهذا يزعج شيوخ الحي.. لأني أكل وأشرب وأقرأ وأكتب وألوح للسماء بيدي اليسرى... حاولت أن أكون مثلهم لكن الشفرات اليسارية تحوم فوق رأسي كسفينة فضاء فضية... وبعد أن علمتَ أن أغلب لاعبات التنس الأرضي الروسيات الجميلات يلعبن اللعبة باليد اليسرى.. زاد رفضي بالتغير... وبعد كسر يدي من عملي كبائع قهوة... تدفقت مشاعر الكتابة فكيف أكتب؟؟... فكتب هذا النص بأرنبة أنفي... وشاركني ذئب رأسي.. وغزال عقلي بهذه المهمة.

أنت عميقة جدا، فهل تسمحي لي أن أغطس، وأعدل لك لهفتك في الحضور، وأصلح لك رعشة أصابعك وأنت تخبئ جرجي عن خفافيش الليل، وأضيف لك شحنات من السهر لألقِ عليك المزيد من النصوص الموزونة. وأعلمك كيف تطرقي باب جارتنا لتستعيري علبة العطر وجهاز تحضير القهوة السريع وكأسين مذهبين، وكم من الوقت تحتاجين لتضغطي على القرنفل لعلاج عصب الطواحين، وأزيد من دقتك وأن تختاري حبات البرتقال لصناعة عصير الصباح. كل هذا كنت سأفعله لكن أنا لا أقدر على حمل أنبوبة أكسين الغطس. ولا أجيد استخدام الزعانف الطويلة.

انتباه

أزم فضفضة قميصي في البنطال لأبدو كشرير
الصحراء الذي يقاتل سرب الغربان على جثة ظبي
نفق حين حاول ان يقطف وردة الزنبق البيضاء
من شقوق القمر...

أعدل وأزيل الصدأ من بقايا تروس الدبابات من
حرب تموز وأحولها أساور وأقراط ولا أهديها
للعاملات التي تعتلي حافلات البرتقال لأنهن مررن
عني ولم يبتسمن..

حين تمرين أضع قدم فوق قدم لأمارس طقوس
الآلة وهي تقضم حبات العنب من صواني
الخادمات الأنيقات المهيئات لأمر ما...

أنا مشغول الآن بعلاج قمر السطوح بعد وعكة
صحية ألمت به بعد موسم حصاد الزيتون لأنه
صعد السلالم كثيرا ورقص بالعصا قبل نضوج خبز
الصاج...

الآن استرح

أي حلم هذا

الخزانات السوداء فوق البيوت هي نقط سوداء وضعت لنهاية جمل كتبها حكيم الليل ليهدي سرب البومات أين طريق العتمة وفي الصباح تتبخر الجمل وتبقى الخزانات...

النعاس سفينة فضية مغرية... لكن وحدي من يرفضها ليزرع حقول الصباح ظلا باردا وأذرع طويلة لتنظم حركة الشهب في السماء..

الغيمة التي وعدت البذرة المغروسة في أطراف المدينة أن تحتفل لو أنبتت وردة بيضاء لكن الشتاء تأخر ولم يلحق بالقافلة والبذرة صارت صباراً أخضراً وعلم المدينة لغة الشوك...

أين صناديق البرتقال؟؟ أنت لم تقرأ الجرائد الصباحية، الدبابات سحقت البيارات قبل موسم القطاف، وأقامت عليها بيوتاً قصيرةً وملونةً ووضعت بها سيدات بملابس خفيفة، ورجال يحملون بنادق طويلة، ووضع سياج حديدي وأوز أبيض كبير بمناقير صفراء حادة صوته خشن، وجاءوا بحروف على شكل مربعات نقشوا عناوين جديدة على الأبواب الخشبية الثقيلة، ورصفوا الطرق وغرست أعمدة الإنارة في كل مكان، وبدون حفلات زواج صار لهم أطفال بخدود حمراء وشعر أشقر وحولوا الأشجار مراجيح.

أكرر عليك السؤال أين صناديق البرتقال؟ انتظر حين أقرأ لك جرائد المساء لنجد قائمة الدول المقترحة التي سوف نهاجر عليها.

أيها العالم أنا أحبك...

أحبك جدا ويمكنني أن أحملك على كتفي وأعلمك السباحة... ومعا ننحت نتوءات الصدف ونصنع تميمة
نعلقها بعنق الحصان البني الذي اعتزل المعارك...

وأحب شخير صنبور الماء الفارغ وأحب نزق صوت علب المشروبات الغازية وأعشق أن يرتطم رذاذها في وجهي كأنه شتاء صغير أعد ليّ.

وأحب أن أتفقد القبور لعل أحد النائمين يعطني ماء وطعام وغطاء لأرسلهم لأطفاله الصغار..

أيها العالم أنا أحبك جدا.. لذلك لم أكسر إشارة مرور ولم أنبش عش دبابير ولم أغني بصوت عالي حتى لا أزعج نوم الغربان...

وأحب أن أفتح شبابيك غرفة النوم ليختبئ الليل الصغير من العتمة الكبيرة تحت غطائي قبل ان تأكله...
ايها العالم أنا أحبك... فأرجوك ان تحبني لمرة واحد فقط...

برتقال أحمر

لم يكن حارسُ البيارة الذي كان يركض خلفنا حين كُنا نسرقُ حباتِ البرتقال، إنه الظلّ، بعد مراقبة طويلة جدا، تأكدنا من ذلك، هذا الظّلّ، لم يكن له أقدام، ولا يدين، كان مجنوناَ بطعم البرتقال، ولسوء حظه لم يقدر أن يقطف حبةً واحدةً عن الشجرة، فكان ينتظر أي أحد يسرق، فيركض خلف حتى تقع الحبات، فيلتهمها.

لا أعلم لماذا احببته، وفي كل مرة أسرق فيها البرتقال، كنت أتعمد أن ألقِ حبةً أو اثنتان لهذا الظّل...

تأمل...

(١)

الأشجار كانت بشر تركض خلف الغيمة الوحيدة ... لكن الله أشفق عليها ونثر لها الغيم في كل مكان... فوقفت الأشجار وحولت تعبها إلى ظل وثمار بألوان قوس قزح...

(٢)

كلمة الحمد لله سمكة جميلة في البحر فصادها فقير وأعجب بها فلم يأكلها... فعلقها امام البيت فكلما نطق باسمها زاد الحب في المكان... (الحمد لله)

(٣)

الابتسامة أيضا كانت مخلوق من زجاج مدفونة في الأرض فجاء سيل قوي فطفت على الماء... فجاء غبي ليكتشف ما هذا المخلوق فكسرها... فانتشرت قطع الزجاج في الأرض فصرنا نضحك بصوت عالي أمام المرآة...

(٤)

القهوة سيدة سمراء لم تحظى بقبلة من أحد فحزنت كثير.. فحولها ساحر ماكر إلى مذاق فصار الناس يقبلها في الصباح والمساء ووقت الحزن والفرح وصارت سيدة الفصول الأربعة...

(٥)

الشرفات في البيوت هي مساحة لحرية صباح دافئ مع جريدة طازجة ساخنة لتقرأ نعني صديق لك غاب منذ عشرين عام إلى بلاد الثلج الأبيض...

تبدأ مهمتي بعد أن ينتهي حداد المخيم من تعليق حبل الغسيل على النوافذ... لأكتب عن سبب انفجارات فقاعات الصابون في وجه المارة...

تبدأ مهمتي بعد ان يصل مركب الصيد للميناء أن أعد كم فتحة تركها جنود البحر من رصاص ...

تبدأ مهمتي حين تخرج سيدة بكامل أناقتها من الشارع الضيق الطيني لتشتري المنظفات الصباحية وتتعثر بعتبة الجار خشن الصوت...

تبدأ مهمتي أن أقلد أصوات الراحلين لأرد على من يطرق أبواب البيوت الفارغة (تركها أصحابها لمهمة الموت وسيعودون بعد حين)

تبدأ مهمتي حين تنتهي الفراشات من معركتها مع ضوء الغرفة الأبيض المعلق تحت شقوق السطح. أن اكفنها بقطع من القماش بألوان قوس قزح.

لكن تنتهي مهمتي حين أفكر جيدا أني ولدت لأكتب عن غيري...

تشاهدوه الآن

أرملة توزع سوادها عند مدخل المخيم الضيق فتشاركها العتبات في صناعة إكليل من ورد لا لونه له ولا رائحة. ورجل عاد بوجه مغبر بالطحين الأبيض وربط حماره في المساحة المخصصة للعبة الكرة دون الانتباه للأولاد. تشاهدوه الآن أكياس القمامة الممزقة من عراك القطط على بقايا السمك (فالبحر كان هادئاً والصيادين كانوا أكثر نشاطاً) السيدات التي تحفظ مساحات الشمس وتنقل غسيلها قطعة وراء قطعة ليكتمل جمالها للمارة، والرجل الذي كان يحجز كرسي خلف إمام المسجد من داء الركب ركض بأقدام من حديد خلف ولده ليمنعه من السفر للدولة العثمانية. وعلب أدوية الضغط والسكري المزمن الملقاة أسفل الشباك القصير فلا حاجة لها فصاحبها صديقي وكان شاعراً ومات ولم يُلتقط له صورة مع كتابه الأخير.

تعريفات

آدم، أنت العلاقة الوحيدة بين الأرض والجنة، وأول من غامر ونام، وأول من رش الملح على الجروح.

نوح، خذ خشبَ أكتافي، أبي من بلدة اِلسنديان، وأمي من قبيلة أخشاب تمر الحناء، لكن لا تأخذ ذاكرتي أنها تجيد السباحة

يوسف، الوطواط الذي أكل ليلك سيسقط في البئر، (القبورُ لا تموت ولكن تكبر) تنبث عليها أشجار الخطيئة فهل نأكل القمر رغيفاً ساخناً، وأنت تقود حمارك في قوافل القمح المتجه لأول بيت وضع بعد الهجرة.

حدث في مثل هذا اليوم، أغمض عينيه وترك كفيه مفتوحين وكان الدفء يغادرهما بلطف، رغم المتزاحمين حوله كان واضحاً والبقع الحمراء تتسع على سترته ببطء سلحفاء تعبر مدينة مكتظة بالمارة والأضواء، والنساء كانت تماثيل من خشبٍ نحتتها الصدمة ووضعتها في ممرات البيت، وبسرعة البرق علقت صورةُ على كل باب، ورصت الكراسي تحت المظلة الزرقاء الطويلة وتوافد مئات الرجال بدون ظل ولا كلام، والأغاني ساعدت الناس على البكاء أكثر.

جلسنا عند عتبة المدرسة نحاول أن نصدق بأننا صرنا أربعة أصدقاء وخامسنا سيرافقنا كالذكرى لمدة سنة أو أقل حتى ننشغل في أشياء أخرى مثل الحصار وسعر البندورة والموضة والهواتف، ولأننا كبرنا لا بد أن نكون عائلة حتى نحصل على كرت التموين، ووقت ولادة أول طفل لنا سنخبر زوجاتنا: أننا سنطلق اسم خامسنا على المولد الجديد.

(حياة الروح) لا تشبه كيف نحيا أو مع من... هي تخيم على المسافة ما بين اللذة والسعادة... ليس لها بداية ولا نهاية... ولا يمكن أن تجدها في معامل الأنسولين الشفاف... حياة تشيه النغمة القصيرة التي تصدرها ميدالية المفاتيح المعلقة في مقدمة السيارة المكيفة مع عطر فواح وسيدة تجلس في المقعد الأمامي تقلب خرائط العالم ولم تنتبه لصوت معركة الخيال التي خلفها... هي أن تحك رأسك دون قصد وتأتي صدفة غير متوقعة... حياة الروح هي الانفكاك من زحمة رزقة السماء... هي أنعم من خشونة جدران الجار الذي نضجت ثماره وأنت متلهف لفتامين C

تجد حياة الروح على مائدة عيسى التي نزلت من السماء

حين ألقت حجرا في طريق ابن آدم، حمله عالياً وطرقه برأسي، ونقش اسمي عليه، وبعثر حدائق الياسمين الذي رتبتها لشغفك وللقمر الصغير.

وجاء أحد من بعده وصنع سكينا منه، وصار يمزق بطون الغيمات، فيموت المطر قبل أن ينضج، فصارت ملامحنا صحراء كبري لا يركض بها سوى العطش.

لكن النساء التي أحبت أن تسرح شعرها عند النهر حملت الحجر المبلل، وصنعت منه سريرا وأنجبت عليه خرائطَ القارات، وجبل من ثلج يتدحرج عليه دبُ أبيض، ونهر ضيق لسمك التونة الشقي وصياد ماهر.

وحين هاجر طير الحمام مع جدّي وأولاده حين فاحت رائحة البارود والقبعات الحديدة في البلاد، جدّي صنع من الحجر مخيم، ونحت عشا للزغاليل وشكل بيتنا هناك.

حين تقرأ كتاب عن الجسور المعلقة لا تخبر بائع القهوة عن لذة السفر فهو صار أيضا معلقاً بالسماء منذ اكتمال القمر فوق المنتزهات القديمة....

لا تسنى أن تسعُل بقوة قبل أن تدخل شوارع المخيم فهناك ينتظرون ثيابهم لتجف ليستروا شقاوة الليل...

حين تقول شكرا لبائع القهوة... عليك أن تشدّ على حرف الشين فهذا يُذكره بشجرة الحاكورة الخلفية وبالشهيق المتكرر حين ابتلع كل دهشة تكورت أمامه....

لا تتعمد بان تنظف ماء النهر من الحصى ومن بنادق الجنود... فبائع القهوة أعد منه قهوة للمارة فصارت ملامحه مرايا لغبار المعارك...

خان يونس

أبحث فيك عن سهولة العُقد، يا مدينة عتمتها ذاكرة الطرق، يا مدينة لا تتطعم الطيور سوى شهوة الكلام، وتترك النرجس يَجف فوق كتفي، حين أمارسها أنزلق إلى خيولٍ هاربةٍ من عطش التراب، وطبولٍ الصقيعِ للمعارك، أعريني اهتمامك أنا لونت شعري بعتمة الليل، وبللت ورقي برودة الندى، ارتديت قميصَ الضباب، فوجهي اختفت منه تعاريج الخشب وتحول جسدي كيس مفاجآت كبير، يا مدينة أخد الهرم ينحت في عظام عمري بيوتاً من طين فتشقق من فقري وكتاباتي.

دون اهتمام

أجلس صامتا أمام الحلاق يعلو ويهبط يقص ويمشط ويثرثر ويغني في رأسي... كل الذي أريد أن أعرف من هذا الذي يشبهني في المرآة...

أضع الكتاب بالقرب من نومي وقد تركت آخر فصل للصباح... وقتها صرت دونك شوت لأحارب طواحين الهواء لكن بقايا الكلمات غرست في كف قدمي فسقطت عن السرير دون اهتمام بأحد من حولي..

أعلم أنك سرقتي مطري وعلبة الدخان لكن كنت أضحك بصوت عالي عليك.. لأني خبأت البارحة تحت الوسائد شتاءً طازجاً ونصف سيجارة (رويال) يوناني...

يرسو الغبار على قميصي الأبيض كقبائل تناحرت على منبع النهر والجميلات تنقر صباحي دون قصد والزبائن تلملم مذاق القهوة من بياض بخار الركوة الكسولة... لكن أنا لا أهتم لذلك لأكتب هذا نص لتقرأيه وأنت تنزعي نعاسك برفق الفراشات..

رائحتك كرائحة الخبز، ستقبل عليك كل الجوعى، وعابري السبيل، والمؤلفة قلوبهم، إذا ركضت سيركضون، سيصبح صدرك كشباك التموين وعيونك زرقاء، وكالة الغوث للاجئين الإله الأزرق في غزة الذي يصلي له الجميع، أقصى ما يتمناه الرجل أن تصل له رسالة من الوكالة "لقد ثم تصنيفك في حالة الفقر المدقع" يكون سعيد ويوزع الحلوى على المارة، بعض المارة يصابه غيرة، فيركض إلى الإله الأزرق بثياب ممزقة وتقارير مرضية يصلي له كل يوم حتى يمنحه رغيفا أو زيتا وكيس من الحليب الرديء، رائحة الخبر تكفى وحدها أن تجعلك الإله المنتظر إن فكرة المخلص دائما تنقر في رؤوسنا، في آخر الزمان سيأتي المخلص لنا جمعيا، ستكون أنت المخلص، رائحتك تكفي.

الرجاء اصطحاب ظلك قبل أن تغادر هذا المكان. فأنا لا أملك ماءا مثلجا أو فتات السكر لأرعاه... قد تحتاجه في وقت لا بيع فيه ولا خله... لو شعرت أن ظلك ثقيل اجعله مظلة لتركض تحتها وأنت تقطع صحراء الحرمان الطويلة وأنت حافي... ظلك ملابس أنيقة برائحة الياسمين فاستخدمه حين تتحول المدينة الخرساء إلى سيدة من شمع أبيض قبل الذوبان... ألا تعلم أن ظلك بذرة الليل.... ليل سرمدي لا ينتهي... ظلك المسافة التي تقصر وتطول كلما صرت أنت النور...

الرجاء اصطحاب ظلك قبل أن تغادر.

سأعطيك ظلي لتقطعه أشكال معينة (*كقطع النمورة) لتغري الأطفال بعد صلاة الجمعة أن يشتروا بشيكل واحد فقط...

سأعطيك مغامراتي التي لم تتجاوز الهروب بالقفز من جدران المدرسة الزرقاء وناظر المدرسة الأصلع ذو النظارة المخملية الذي يلتهم خبز المقصف...

سأعطيك صوتي الخشن لتقود سرب الغربان لتجد أين دفن ابن آدم الطيب لتزرع عليه شجرة الياسمين...

سأعطيك مهاراتي في الخشوع في الصلاة على الغائب فهي الصلاة الوحيدة التي كنت أدعو لصاحبها بان لا يعود لدنيا مرة أخرى... لأكرر فيها (*لقد فلتنا من الحياة بأعجوبة) ...

سأعطيك عدد الكلمات التي أعرفها من اللغة العبرية لتخبر جنود الحاجز باننا نريد العبور لجهة الأخرى لنشرب من ماء بئر جدّي فإنه امتلئ منذ 72 شتاءً مضى...

سأعطيك نزق قلقي حين تصاب إحدى بناتي بالحمى.. وبطء السائق في الطريق وهدوء الطبيب حين يخبرك ضع ماءا باردا (*فكيف تخبره بأني لا أملك ثمن الفاتورة)

* النمورة نوع من الحلويات طحين وسميد وسكر وقرفة. غالبا تباع يوم الجمعة عند بوابات المساجد... * على ذمة محمود درويش * منذ أن ركب في ببوت المخيم عداد الكهرباء مسبق الدفع اغلب الناس لا تشرب الماء المثلج في الصيف.. (فقر مدقع).

سأكون على ما يرام

حتى لو بدون حذاء رياضي يمكنني أن اقفز أعلى من طائر الدوري على حبة التين...

سأكون على ما يرام

لأني لم أركب قطاراً ولم أدخل سينما ولم اجلس في فندق ولم أدعو سيدة على قهوة في ميناء غزة.. فعندي أربع أصدقاء فعلوا ذلك وانا أجيد الإنصات لهم...

سأكون على ما يرام...

حين ألون بحر غزة في الجغرافيا باللون البني فأنا لا أملك إلا بقايا فنجان قهوة من مذاق آخر رواية كتبتها..

سأكون على ما يرام...

حين أضع معجون الأسنان على حرقة قلبي فبيتي بالمخيم بعيد جداً عن مشفى ناصر الحكومي...

سأكون على ما يرام

حين تضعني طويلاً على رف الكتب ويأتي أحدهم بإعادة تصنيعي لألعاب أطفال محشوة إسفنج فاخر...

سأكون على ما يرام

حين تطرح التحية وأنت مستعجل جداً قبل أن تفوتك الحافلة لتسمع آخر خبر عاجل عن سعر هبوط أسهم الذهب...

شرير أنا أصعد درجات المخيم قفزة واحدة دون البسملة، ولا أبتسم في وجه جارتنا التي تنظف العدس من الحصى والأغصان الناشفة، شرير لأني لم أخبر رجل الشرطة عن الأولاد الذين سرقوا الجالونات البلاستيكية من بيت جارنا (التي يخزن بها ماءً) وصارت زلاجات يلعبون بها عند تلال الرمل الأصفر، وقد ساعدتهم في سرقت البطاطين الخشنة لأنهم أعدو عشاءً تحت ضوء القمر المريض وسوف يشاركهم أرمل المخيم الذي يعنس بسرعة، شرير لأني أدقق في صور النساء لدعايات البسكويت الفاخر وأحلم بما يليق بطعم الشكولاتة الساخنة في فمي، شرير وعنيف في صفع جلدي بعد لسعة البعوضة ولسعة الجوع ليلاً، أنا من كسر البطرمانات الزجاجية المحشوة بالأزرار لأفتش عن زر عريض أحيكه في بنطال المتسول حتي لا يسقط عن خاصرته النحيفة، شرير لأني دفنت عصفور الكناري الأصفر الميت بالقرب من بيوت النمل الأسود لعله يهدأ قليلاً عن سرقة رغيف الخبز الوحيد في البيت، أنا من علمت رفاقي أن يناموا بالزي المدرسي حتى يفلتوا من عقاب الكسل عن الحصة الأولى، أنا من أشغل

السيجارة لصديقي الشهيد قبل أن يلقي الحجارة على الجنود ومن ثم طار إلى السماء.

شعرت بأني أقدر على القيام بشيء مفيد، قد أنعس قليلاً قبل أن يعلنوا بأن المدينة غير صالحة للحب... لأن الجنود كسروا أشجار اللوز، والممر المؤدي لقبر أخي الصغير، قد أخلع سترتي الصوفية عني فالطريق طويلة والشمس تعربد على الراكضين، وكم جميلة تركت جمالها بقصدٍ ينبض على حافة الشباك كبوصلة تشير إلى المنفى، كنا نتقوس أكثر كلما ذهبنا فصرنا نشبه أقواس الهنود التي كسرتها الأقدام والغفلة.. لم يرافقنا سوى ظلنا الباهت وحملنا أشيائنا الأقل جودة، وتركنا الأكثر جودة من الأساور والأمشاط والمرايا والحناء والملابس فربما نعود مرة أخرى... أو حتى ندفن معها لو انتبه حفار القبور أن لون جلودنا من لون المهاجرين... شعرت بأني أقدر على القيام بشيء مفيد بأن أكتب في هذا الكلام كل عام مرة واحدة للذكرى.

صباح خالي من الموسيقى، ومن البيوت القديمة التي تفوح منها رائحة الفطور، ولا أرى أحواض النعناع، ولا أثر للعجائز التي تضع سجادة الصلاة على ركبها وتعرضها للشمس.. خالي من عمال البلدية اللطفاء... ومن تجار النحاس والألمنيوم والخردة... وصراخ الطفل الممغوص يبدو أنه تناول مشروب اليانسون.. ولا صوت لصرير فتح أبواب الدكانين المتشابه في المكان... ومن أكياس الطحين المرصوصة أمام المخبز القديم.. خالي جدا كأن أحدهم مسح المتحرك والثابت بممحاة استعارها من طالبات المدرسة الابتدائية... اليافطات باهتة ولا تدل على المنتج.. كأنهم ركضوا من شيء قادم.. رغم أني متابع للأرصاد الجوية وعالم البحار ومجلات الفنون لم أسمع عن هذا التنبؤ.. كل الذي أراه مجموعة من نسور تحلق فوقي وتلحق بي.. سألت الوحيد في هذا الفراغ لأنه يشبني وأنا في سن الثمانين: أين كل الصور الموجودة في هذا النص؟ رد: هي موجودة لكن أنت الغير موجود في هذه اللحظة المزدحمة بالصور...

صدري مخيم وبذراعي أهش عنك بعوض الصيف، اختصر لك البكاء على أخيك الذي كان لطيفاً وأغراه صوت اِلبارود إلى النوم بعيداً عن بيت العائلة هذه الليلة، وأحب تشقق الطين في وجهك وسببه أن أمك كانت تحب رائحة الطين وأنت علقة، فمن الذي فرط عقدك عن عنقك فلا تخجلي من الإجابة، (أنا الذي بيعته لأن أبي كان يريد ثمن عملية جراحية في يده المصابة من الهجرة) ثيابك قديمة سأجعل روحي غابات من قطن مصري وأهديك نهر النيل والهرم الذي دفن فيه منقورع.

صلاة الجنازة قبل أن يحضر أحد... فهو جاء من جهة الريح بكل هدوء ونفض الغبار عن سترته، وكان يسعل بصوت منخفض ويرد التحية بلطف، ويرفع بقايا الخبز من تحت أقدام المارة ويفتتها وينثرها على السطوح ليعد كم دوري جديد انضم لثقوب الروح.. كان يغلق أزرار قميصه حتى لا تفر الأسرار من صدره فهو يعرف الكثير عن حزن الشرفات ولماذا طال إغلاف النوافذ... صلاة الجنازة قبل أن يحضر أحد...خوفا أن تدوس الأقدام العشب المتهيأ لاستقباله... فالعشب لبس ثوب الندى ليخفف حرارة أخر عناق مارسه مع نخلة أسقطت عليه بلحا أحمر، وترابه أعد له ناعم وهش حتى يخرج ليلاً ليرج المزارعين الكسالى وقت قطاف ثمار التوت البري ...

صنعتُ لك كرسي متحرك، لأني حلمت بأن السلك الشائك عند الحدور يتحرك، والبحر هائج، والسفن تتكسر، والسيارات تدوس آلف من سرطان البحر تحت العجلات، والنساء تلم غسيلها قبل أن يجف، والدكانين الصغيرة تكدس الشمع الأبيض، ورائحة الكاز تنشر في المكان، والرجال انتعلت أحذية قوية ضد البلل والالتصاق بالطين الطري، والأولاد مزقوا دفاتر حصة الرسم ودفنوا الألوان المائية تحت شجرة الكافور، والعجائز أفرغت أكياس الدواء وملئته بالطحين وملح خشن، وعطلت أعواد الثقاب وعقارب الساعة عن عملها، والرجال تتدرب على كتابة أسماؤها بلغات أجنبية أسفل الورق الأبيض...

إذا لماذا صنعت لي كرسي متحرك، تحسباً لأي طارئ.

(الصوفي حليق الذقن) يعود باهتاً كنكهة تكرر على مائد الكلام، كالدوام اليومي لمدرس يستعد للتقاعد ويلتزم عتبات الوقت الذي يمضي بسرعة خاطفة، كصوت القذائف البعيد عن نوافذنا، كصعود درجات البيت ولا تجد أحد يأخذ من يدك الأكياس ويعلق سترتك خلف الباب، كأول أبريل، كضحكة استعرتها من صديقك الذي يضحك حين تفرغ جيوبه من اللوز المحمص، كنهاية صغار الحمام الأبيض في الأسواق وتهافت الزبائن ليرسلوها هدايا لآخر زوجين في العائلة، باهت جدا كقوقعة السلحفاء التي صارت منفضة، كصديقي الذي يحمل قطته البيضاء مختفياً في شهر شاط للقط السمين، كملابس العمال في موسم قطاف الزيتون بعد نزول المطر على تقويم الكتاب القديم، كالفقاعات التي تكورت على وجه مشروبك الساخن، كالصدأ الذي احتل البنادق وترك ملامح الوجه تشيخ... كسؤال يطرح كل يوم كم الوقت الآن رغم أنك تعيش في فراغ كبير، باهت جدا كالصوفي الذي خرج من عزلته وقال بصوت عالي: أن صائم اليوم لأن الغزال الأبيض زارني في الأحلام وعلمني كيف أمشي على الماء وكيف أخبر الغيوم عن عشق

الشوارع للمطر، وعلمني أيضا بأن الغريب الذي يوزع الحب تاه وقت هبوط الضباب، وأن أصل الجمال آيات من موسيقى لرقصة الروح مع طاووس الحديقة الملون.

عجز..

أن تضع يدك على خدك... تنتظر اللا شيء... أن تتنفس بصعوبة وأنت تجلس في وجه الريح... أن تفقد التركيز مع من حولك لمجرد أنك تذكرتك من أنت...أنت تُضع على الرف كفازا (زهرية) رخامية بيضاء ويأتي طفلٌ شقي وقبل أن ينهي صراخه في البيت، يضرب الكرة بك فتتكسر.   وحين تنهض تمد يدك لتسند على شيء مادي خوفاً من السقوط. أن تصاب بالزكام أو الخجل ووجع الرأس وقصر النظر وحذاء ضيق وفقدان شهوة الكلام في أوقات مناسبة لتبقى أطول وقت في المكان.

عنف

أغلق باب الغرفة بإحكام، وأخلع روحي وأُجلسها على الكرسي، وأعيد عليها السؤال موجها إصبعي في وجهها، ما هي قيمتك دوني، أنت لا شيء الآن، فلماذا تصير على تركي وأنا أقطع الطريق السريـع، لماذا لم تكوني خفيفة شفافة سريعة حين أطلق عليّ الجندي الرصاص المطاط، أشعر أنك سمينة ومكتنزة الدهون وملتصقة في الأرض حين أمشي بين الشوارع الضيقة في المخيم، لتخبري العالم أني لاجئ والجغرافيا تركتني هنا.

كلما أردت منك أن تمشطي لي شعري وتهندمي ثيابي وتزيدي بياض أسناني، أجدك نائمة كأنك حقنتي مخدراً قوياً لعملية ولادة قيصرية.

انهضي وعودي لجسدي مرة أخرى، أنا عندي ثقة عالية بك في الصباح أن تكوني لطيفة كبائع الكعك، وأنعم من صوت المؤذن، وأسرع في التقاط صور للناس قبل أن يرحلوا.

[غبي]

ولد برأس زجاجي من أثر برقة ضربت خصر أمه ليلة الولادة، كان جميلاً وبراقاً، الجميع أحبه، كان منهم يحضر قطعة قماش ويمسح الغبار عنه، ومنهم فتن به فاعتبره المخلص من البارود والحديد الذي يحكم المدينة، ومنه قال: هذا الإله فصار يبتسم بوجه حين يمر كأنه يطلب البركة لأولاده ولزوجته الجديدة، الأطفال كان يرسموه بدون رأس في دفاتر الكشكول، والنساء تعشقه فلأجله تحمر حبتاي الرمال المعلقتين على صدورهن، لا ضوء ولا بهجة إلا بحضوره، لكن هذا الغبي الذي أراد أن يتأكد بأن رأسه من زجاج، كان يحمل مطرقة ويدور حلف في الشوارع، وجرب غبائه في لحظة غفلة، فتكسر وصار بلورات منتشرة تحت أقدام المارة، وفقدت لمعتها.

فانوس

ملت جدا، وحاولت أن تتفاعل لكن دون جدوى، قال لها: لك ثلاث خيارات، لتكسري الملل، قالت: أريد أن أكون شتاءً، فصارت، انطلقت بشتائها، تمطر، تصنع برك مياه صغيرة لأطفال، توزع الغيوم والبرد على الناس، زاد مللها من فكرة الظهور لمرة واحدة في السنة، اعتذرت للشتاء، قالت: أريد أن أكون بحراً، فصارت، انطلقت تلعب بالسفن، تلاحق الأسماك، تلون خدودها بالمرجان، لكن في يوم غرق طفل داخلها، فخافت من فكرة الموت فاعتذرت للبحر، أخيرا اختارت أن تكون فانوساً، لتضيء الظلام، فصارت، انطلق تبحث عن الظلام واللون الأسود، جاء رجل وأخذها وعلقها في بيته، صار يستخدمها وقت الظلام، كانت سعيدة في أول الأمر، وحين اكتشفت إنه آخر خيار لها، حاولت أن تعود لطبيعتها، لكنها فشلت، فماتت، فجاء الرجل بفانوس جديد، وبدلها، وألقاها في الشارع، عاطلة عن التجديد.

فراغ مقصود، جلبت معي علبة مزركشة وفيها لعبة بتروس صغيرة تقفز وتغني، ومظلة متعددة الاستخدام، وبيت جيد التهوية، وعدسة مكبرة لأن مكونات طريقة عمل البيتزا مكتوبة بخط صغير، وغطاء قماش للسرير مرسوم عليه حلبة مصارعة الثيران، وقللت حدتي في تأمل الدوائر وخيوط العنكبوت، وقرأت الكثير عن السفن المفقودة ونزق القبطان ذو القدم الخشبية، تعلمت فنون الإبر الصينية لعلاج وجع الظهر، ودعوت عازف الكمان وبعد قليل سيطرق الباب، فتوقفي عن الهروب فكل ما حولك فراغ مقصود.

فقدان الرجوع....

عليك تدريب عقلك بحفظ أسماء الأشخاص الذين عرفتم بالماضي فقط... لأن السمنة والصلع وتساقط الأسنان وتعاريج الوجه وعنفوان الشيب أسرع من فعل الخريف بالأشجار... لأن الأشكال تتغير مثل مواقع الكواكب ومثل ثقوب النمل المنتشرة في حديقة المنزل تتغير حسب فتات الخبز وحبات السكر التي تركتها دون قصد من عشاءك... هكذا نحن نتغير.. نذهب بعيدا ابعد مما تتوقع في الأفق نركب الفرح والحزن ودقات الساعة ولغات جديدة واجساد تساقطت في طريقك دون انتباه تجبرك على مرافقتها طويلا وتهتم بملابسهما ودواءها وطريق صبغة الشعر وتجبرك أن تفتح لهم ابواب السيارة وتسرد تقرير يومي لماذا تأخرت عن الساعة العاشرة مساءا.. وحين نرتب مرة اخرى للعودة للماضي نجدهم فقدوا شيء كطلاء الجدارن يبدأ بالتقشير بفعل الرطوبة... بكل صراحة تجدهم يجرون أطفال او يرتدون العباءات السوداء ومنديل مزركشة وحذاء خفيف مغبر من المشي... كأنهم جزء من مشهد رواية البؤساء... في هذا الموقف انت مخير جدا بان تتقدم وتطرح التحية وتذكرهم بما مضى أو

تتدعي ان مصاب فقدان للذاكرة كأنك غير مهتم... لكن الخيار الثاني يعني انك ستعود إلى روتينك اليومي وتصلح لطفلك المعادلات الرياضية وتوضح لها بان اصل اللغة ذكر وتجليد الدفاتر وتنقل الماء المقطر وتحضر الخيوط لرقع الثقوب وطلاء الأحذية تحمل انبوبة الغار التي تزن اكثر من ستين كيلو على كتفك بعد ترجي طويل لبائع الغار ان يصبر على الثمن لحين مسيرة.... لكن لو رجعنا للخيار الأول قد لا تعجبها فانت تغيرت كثير وفاقد خفة الدم التي كنت تمتاز بها...

في المرة القادمة

أن تهبط بسرعة عن الدرج لتلحق ميعاد الحظ... في نهاية الدرج تتذكرك أنك نسيت لغتك وسوء الخط على الطاولة بالقرب من منفضة الدخان...

بعد ليلة طويلة من التدخين وترميم ثقوب سطح البيت لشتاء قادم... تهم لاستخدام بخاخة الفيتولين لتطرد ضيق التنفس تجدها فارغة... (فقدت متعة الانتصار على الشتاء)

أنا أعلم إنك حين تضعين إصبعك على شفاهك تريدين القهوة بلا سكر... لكن هذا الصباح وضعتي إصبعك على قلبك... (وانا لا اجيد لغة الإشارة)..

كلما أخبرك أحدهم نكتة تضحك بصوت عالي.. لكن حين تكررها بصوتك على الآخرين يبكون ويطلبون قهوة مرة أخرى...

في أول الخمسينات جاء من سيدة يلاحقها القمر في كل مساء، حين تركته أبوه ولم يطلق عليه اسم ولا لقب لأن الملائكة كانت أسرع من الألقاب، فدارت على كتفيه الكواكب وسيرت له الكلمات، وباع الخبز للقطار السريـع، وحين دخلت قوافل السواد البلاد وصار الريـح والغبار أكثر خشونة، دافع عنها فلون الجدران غيوم بيضاء ماطرة، والصدفة جعلته يخرج من درجه القديم لغة جديدة فصار الأستاذ وكتب بالطباشير تاريـخ الشوارع والأشجار وعدل مواضيع النحو ورافقه سيبوي من الدرس الأول حتى الاختبار النهائي، ورفعت له القبعات، لا أعلم كيف يحمل الكرة الأرضية دون تعب ولا وهن. والآن يجلس في بيته كبهجة الفصول الأربعة، يروي قصص طائر الشنار ونار البدوي وحصى الجبال وبرد الليل وحرارة النهار، يتحدث كثير عن أغنيات الربيع وخيمات المعتقل، ويجيد توديع الموتى بالبكاء والحنين، ويفرح كلما أقدم أحد على بناء بيت أو زرع شجرة. **[كأنه يتحدث عن أبي]**

قبل أن تنام... الرجاء ربط الحزام... قد تتحول أحلامك لطيارة كونكورد فرنسية يكون ركابها رفقاء الرصيف وبعض جواربك المثقوبة وباب الخزانة الذي يجيد رقص الخشب.. وماكينات الحلاقة الزرقاء رخيصة الثمن التي تستخدمها لميعاد سيدة هربت من تخمة الوجبات السريعة وأرادت أن تتعلم أن تكتب سردا عن ضفادع برك مياه المخيم.. قد يكون معك مجرد وجوه ابتسموا لك فابتسمت لهم فسرقوها... فلماذا تسرع فيسقط بائعي المنظفات الصباحية وبائعي حبات البندورة المرجعة من التصدير...

الرجاء دائما ربط الحزام فأنت متهيئا للطيران في كل لحظة

كآخر جندي إسبرطي أنت... تشوى أحلامك المعلقة على سيف صدأ من الفراغ... تزرع فزاعة الحقل عند بوابة المدينة المغلفة بضباب الصباح الخفيف... تقلم أشجار الكافور على هيئة قبعات استخدمها أصدقائك قبل ان يركبوا البحر.. تحاول أن تردد ما تبقى في ذاكرتك لموسيقى سمعتها وأنت صغير وقبل أن يهشمك غبار الريح... تستخدم يديك المكسرة لتكمل ترتيب الجبال والأنهار وصوت القطار على خارطة الرحيل من هذا الرصيف العتيق..

كفاك حدائق من قطن تكفي الفقراء والمؤلفة قلوبهم.. عليها نقش أسماء شواهد القبور التي أهديتها الفاتحة والقيل من الأكسجين... منها أعد كم فأساً تكسر وأنت تقلب الأرض لتزرع رزمانة السنة القادمة، بها أغلقت لنا أزرار القميص ومسحت عنا خوفنا من مجنون المخيم، بها ربطت الأرجوحة على فروع شجرة الخروع قبل أن تشيخ أغصانه، يا ذو القرنين لأنك تتعب وتبتسم.

لا أعرف كيف أنجو كل مرة من سعادتي...

سعادتي لا تستمر سوى قدر المسافة التي ترش بها عطر صيني ينتهي أريجه عند عتبة بيتي..

سعادتي في التلاشي أسرع من فقاعة صابون... بل أسرع من أن تجمع رقم واحد بمثله.. أو تعد قارات العالم..

خفيفة سعادتي يمكنها أن تنام على رأس دبوس في منديل سيدة تزرع الكرة الأرض ورداً لشاعر لم يحضر أبدا..

لماذا حين أكون سعيدا يتعمد عامل النظافة أن يربط حماره حين أكون.. فلا يلتقط لي صورة للذكرى...

سعادتي مصابة بمتلازمة العكس حين لا أريد شيء تأتي كل الأشياء وحين أريد شيء واحد تفر كل الأشياء...

أنا دائما أنجو من سعادتي بكامل أناقتي

لا عزاء لمن لا يصفق...

حين يصعد قوس قزح على سطوح المخيم
ويرقص الأطفال على مقطوعة بيتهوفن
السابعة...

لا عزاء لمن لا يصفق

لزوج الحمام الأبيض الواقفين على الأسلاك
الكهرباء يراقبان نضوج المطر ناحية البحر..

لا عزاء لمن لا يصفق

لخطيب الجمعة الذي اختصر الكلام وقال إننا
نعيش تحت مظلة حرفين كلمة الحب... فتحابوا
فالموت أسرع من الاعتذار..

لا عزاء لمن لا يصفق

للرجل الذي حطم خيال الحقل وترك عصافير
الظهيرة تحط على غصن القمح فرحا وشبعا...

لا عزاء لمن لا يصفق

لسانت كلوز حين زار المخيمات يحمل لاصقاً قوياً
ليسد ثقوب القرميد فهناك شتاء خشن قوي قادم
جزاءً لاستغفار الفقراء...

لا عزاء لمن لا يصفق

للذي ينظف الظلّ من الحصى لتمشي فتيات المدارس بالفساتين المخططة بالكحلي كأناقة الأميرات في أعياد الكريسماس...

لا عزاء لمن لا يصفق

للفتى الذي حشى جيوبه بنانير وصار يعوض من يخسر مقابل أن ينضموا معه لسرقة بيارة البرتقال عند أطراف المخيم...

لا عزاء لمن لا يصفق

الي الذي صنع فانوس رمضان من علبة الكوكولا وشوى قطع البصل على ضوء الشمعة..

لا معارك بعد اليوم

أطالع كتاب التاريخ الملون فتهمم الخيول في وجهي.. وعيناي تدمع من غبار المعارك... وصوت الجنود وهم يرددوا اسمي يشجعني وصدري ينتفخ هواء.. أخبرتهم: لن أشارك فلا يوجد خوذة تناسبني والسيوف ثقيلة وخيمة العلاج بعيدة عن الساحة... وبدون قصد تعثرت في طرف الورقة فسقطت في الساحة (يا ولي) ماذا أفعل والصراخ والبرق والرعد والقرع والآهات تلفني... ولا يوجد عشب أخضر ولا ورد يليق للموتى والنساء تبحلق في الجرحى وبطول السهام المصنوعة من خشب السنديان.. ولولا صخرة على يسار المعركة لصرت من أسماء القتلى الظرفاء.. وفي أخر صفحة من الكتاب شكرت المؤلف أنه لم يطيل في عدد كلمات وصف المعركة..

لا وقت عندي...

لأصلح لك نظارتك الشمسية فالشمس غابت مع أول نقيق الضفادع عند آخر بركة مياه المحاطة بالبقدونس الأخضر....

لا وقت عندي

لأعلمك كيف تصلح قذيفة الهاون لتغير بارودها الفاسد... لكن عليك الحذر فالهاون مثل الثعلب الماكر خفيف في الصيد...

لا وقت عندي...

لأسكب لك سبع مرات من الماء على رأسك المحموم سأتركك تهذي لتصير شاعرا وترافق شعراء غزة إلى الميناء...

لا وقت عندي

لأصلح الكرسي البلاستيك مكسور القدم لتجلس على عتبات الثرثرة.. عليك منحه للرجل الخردوات ليبيعه لمن يسرد قصص الأجداد...

لا وقت عندي

لأطلى صدأ المراجيح، للأطفال الذي يدخلون المنتزهات دون تذاكر... فهناك سيدات ترمم صدأ الروح لو طلت عليك من نافذة القمر لمرة واحدة فقط...

لا وقت عندي...

لأرتب لك خرائط الملح العتيق... فالهزائم الصباحية تركت ندوبا في ذاكرتي الطرية.. فضيعت أين خبأت ظلي في الخزانة عن خنافس الصيف..

لا وقت عندي

لأعلمك آيات العطارين الماكرين في صناعة صبغة شعر النساء.. ومن مكرهم زادت نسبة الإنجاب في المخيم...

لا وقت عندي

لأكمل هذا النص فصغيراتي الخمس طلبن حوائج المدرسة... فالكتابة لا تصنع قرطاسية ولا حقائب ولا سكاكر...

لا يطلّ العصفور من عشه هذا اليوم...

يبدو مريض... أو اصطاده أولاد الحي ليبيعوه أمام المدرسة...

أو انقض عليه قطنا الأسود البولندي كثيف الذيل كسول الميواء... يبدو أن عصفورته هجرته لأنه لم يحضر لها عشاءً يليق بها فهي تحب فتات الخبز مع بقايا قشرة المانجا...

أو فقد جزءً من سمعه من أثر قصف ليلة البارحة على شجرة الليمون فلم يسمع صوت الأذان...أو دخل الغبار المخلوط بغاز المسيل للدموع في عيونه، فلم ير تشقق النهار فوق بيوت المخيم..

عندي ظنٌّ كبيرٌ أنه هجر لعشٍ آخر عن أطراف المدينة ليلتقط حبات من العدس والأرز المتساقطة من أكياس المكتوب عليها (الطعام مقابل السلام) على فقراء الحرب الأخيرة....

أو مات بكل اناقته في العش...

فالعصافير لا تجيد الانتحار ليلاً

لأنك تشبه القط السمين شره الأكل الذي ألقاه صاحبه الأول من نافذة السيارة وهرب منه... ويأتي أحدهم ويأخذك لبيته الجديد لتصطاد الفئران التي تتسل على أسطح القرميد لتخطف صغار الحمام..

بعد أقل من ثلاثة أيام يكتشف أنك كسول وفاقد شهوة الصيد فيعطيك لأولاد الحي يلعبوا عليك في النهار ثم يعلقونك مشنوقاً على شجرة الجميز الطويلة...

لأنك تشبه آخر يساري كان يقرأ كتاباً عند عتبة دكانه الصغير على كرسي من قش، حين سألت: هل أديسون الذي أضاء الأرض يدخل الجنة... ولم يجيبك أحد.

لأنك تشبه الرجل الذي يبيع * (الترمس والفول النابت) لم يسمح له حارس مكتبة خان يونس أن يستعير كتاباً كيف ستصبح غني... (فاقد الشيء لا يعطيه) كما يظن.

لأنك لم تشارك في رقع ثقب الأوزون أهداك الله ضيق في التنفس وصوت صدرك يشبه حفيف الورق في الخريف...

المخيف في الأمر كل النساء اللواتي عبسن في وجهك قبل أن يشربن القهوة من عندك ... لأنهن شبهاك بطبيب المادة الكيمائية لعلاج *(المرض الزهري)

* الفول النابت.. حبة فول كبيرة طرية عليها ملح وليمون.

*المرض الزهري.. سرطان الثدي.

اللغة ضعيفة جداً لا يمكنها أن تساعدك في فتح نافذة البيت حين تشعر في ضيق في التنفس..

اللغة جبانة جداً لا يمكنها أن تدافع عنك وقت اندلاع الحرب في ضروسك الخلفية...

اللغة خفيفة جداً لا يمكن أن تلبسها في يوم عاصف وبارد...

لكن اللغة خشب من سنديان طويل تصنع منه عكازا لشيخوخة الوقت...

اللغة ثوباً أبيضاً يمكن أن تخيط منه فساتين لأعمدة الإنارة المعطلة في المخيم..

اللغة حادة جداً يمكنها أن تثقب جيوب سترتك فتنز منها أحلام المساء....

اللغة لا يمكنها أن ترافقك إلى الفرن القديم وتدفع عنك فاتورة الخبز الطازج...

اللغة وما أدراك ما اللغة.

لماذا أيها الشارع ترفضني...

وأنا من أفضل روادك.. أنا لطيف وأطرح التحية مبللة بابتسامة خفيفة.. أجيد صناعة درجات من كلماتي لتصعد العجائز لشبابك صرف الأدوية...

أرتب نزق الغبار على المقاعد الخشبية لتبدو أجمل للمارة

كل الأبواب مغلقة ويداي قصيرة لا يمكن أن تقطف فساتين المدرسة لصغيراتي.

لنشغل الفراغ

نرفع صوت المذياع القديم.. ونقصد أن نضعه بالقرب من نوافذ مدرسة البنات ليفكن مناديل الصباح ويتسلقن الجدران إلى بائع القهوة والسكاكر..

نحرق اوراق الميرمية عند عتبة البيت لنطرد اهتمام الجيران لماذا صنعنا حفلة شواء كبيرة لسمك السردين الصغير وضحكنا طويلا كطول نعاس ليالي الشتاء..

نعلق قطوف البلح الأحمر على درج البيت ليرتاح الضيف في أكل حبات الرطب قبل أن يدخل في حديث شقي حول الطريقة الجيدة لتخزين عجوة رمضان القادم...

نخاف ان نعد أكثر من ثلاثين نجمة من السماء لنصاب بطفح جلدي (كما قال لنا) رغم شهوتنا في العد للمئة ويزيد...

قبل أن يجتاحنا وجع الرأس في الفترة الصباحية نركض للصيدلية لقول فقط لبائعة الدواء الجميلة الأنيقة صباح الخير فنشفى ونشتري حبة أكامول بشيقل واحد خجلا...

لو استحمت سيدة من سكان * قلعة برقوق سيغرق المخيم بعطر *(صابونة الهواى) والرجال سيغيرون ثرثرتهم عن الجنود الذين ركضوا خلف الأولاد إلى فوائد شهر شباط والقطة التي يسير خلفها عشر ذكور من حاوية قمامة *مدرسة شيخ جبر.. كل الطائرات الورقة حلقت أعلى من أسلاك الكهرباء وأنا الوحيد الذي فشلت لأن طائرتي لونها خالي بألوان الوطن... كلهم هربوا من رجال البلدية إلا أنا سقطت بيدهم لحبي لوطني.. أصدقائي أكثر حظاً مني كانوا عمالاً في المستعمرات الإسرائيلية في مزارع الدجاج وفي نهاية اليوم كانت بيوتهم تفوح منها رائحة الدسم... وحين رافقهم بالعمل، حارس *جينتال واحد رفض دخولي بحجة لم أفهمها لأنه تحدث بالعبرية... يومها غرق المخيم *بالشيري..

* قلعة برقوق قلعة من عصر المماليك في خان يونس

* صابونة الهاوي صابون إسرائيلية جودة عالية (عطرها وملمسها وفقاعاتها)

*مدرسة شيخ جبر اول مدرسة بنتها الوكالة في المخيم.

* جينتال واحد إحدى المستعمرات في قطاع غزة

*الشيري الطماطم صغير الحجم تستخدم مع جلسات الخمور لكن نساء المخيم كانت تصنع منها مقلى بندورة

لو حزني نهر ممتد من نزق الألف إلى ارتخاء الياء... سأنزع أنياب التماسيح لأترك الغزلان تشرب كأني مرآة ووطن لها بحدود العشب... ولو ألقى طفل جحراً بمائي سأبتسم وأحول وجعي سمكة حمراء يلعب بها ويخبئها في حقيبة المدرسة... وأساعد الضفادع لتصعد على الخشب الطافي لتصطاد عشاءها بكل هدوء.. وأعدل الحصى التي ترسو لتصير دفاتر يُكتب عليها تاريخ المدينة المقصوفة..

لو حزني نهراً... وأنت تتوضئين الآن وتعمدي تعب قدميك، سأقول بصوت عالي: زاد السكر في حزني زاد السكر في نهري...

لو عندك مطرقة حداد لصنعت حماية لبيت قصير الشبابيك وحرمت لص الشارع من خطف دجاجات العجوز التي وضعت الحناء على جدائلها وجلست تحت أشعة الشمس

لو عندك بغلاً أمه من سلالة إنجليزية وأبوه ولد في سوق الأربعاء لحملت عليه قمحاً وسكراً وضحكت نساء السوق في وجهك...

لو عندك بندقية من نوع (كارلو) لصرت مطلوباً للجنود واختبأت في بيارة البرتقال لتنام بياض النهار وفي الليل تلعب الكوتشينة مع رفاق البندقية....

لو كنت خياطاً لصنعت يافطات بيضاء طويلة لحفل ختان ابن غني المخيم الذي يعمل عند الآلة الزرقاء (وكالة الغوث)

لكن أنا اكتب فقط لتقرأ هذا النص... ولتبتسم معجباتي في الصباح وهي تنظف أسنانها قبل أن تشرب القهوة...

متى ستصبح ماضي ونقرأ عنك في حصص التاريخ المملة، فكلما تقدمت في العمر ضاقت شوارعك علينا ولابد أن نتلوى حين نعبرك، ونكون في انتباه شديد حتى لا تطرق حواف الشبابيك رؤوسنا، أو تغرس أقدامنا بمياه الصرف، أصبحت صدور رجالك صناديق من خشب داخلها ملابسهم وأحلامهم النحاسية والقليل من علب التونة المغربية، فأنت الأخ الثالث للموت والحياة، فلا أريد أن أمكث داخلك أكثر، وسأربي فكرة الهروب من أسلاك الكهرباء المبعثرة التي تمنع نمو الأشجار بالقرب من النوافذ.

[أقصد مخيم بلوك جي]

مجرد صور

أخبئ حبات الدهشة في جيوبي، وحين تكون الأشياء عادية جداً، كالروتين والدوام المدرسي ووجوه السياسيين، وعتبة بيتنا الإسمنتية، والمروحة التي تقف خلف الباب تنظر صيفاً قادماً، وحاوية الأوراق الرسمية، وجواز السفر الغير مستعمل، وربطات العنق الملونة، واستطلاعات الرأي حول ذوبان الجليد، والثقوب في الجوارب، وحاووز مدينة خان يونس القديم، والجار الذي يدخن قبل وبعد الكلام، وصور الشهداء التي فقدت معجبيها، ونفوق الدجاج الأبيض في أول موجة حرّ، والرجل الذي يلم أعقاب السجائر بكل خجلٍ، والبعوضة التي تلسعني كل ليلة تمنع دخولي في الحلم باكراً، وأنتم أيضا عاديون جدا، كمفعول حبة السعادة دون الرغبة في السعادة، طعم الحليب كامل الدمس وأنت مريض، أخرج حبة دهشة من جيبي وأقضمها مغمض العينين.

مدن تأكل مدن... والحكاية لا تجد نهاية.. والأبطال زادت عليهم تعاريج الوجه... وصاروا يتقاتلوا على آخر عكاز في الكلام ليصلوا لآخر شارع به أعمدة إنارة في عقل الكاتب الكسول... ووعدتهم المدن لو وصلوا سالمين توزع الهدايا المغلفة على الأطفال والمرتزقة المعطلين عن الموت، وتفتح ممرات جديد للنهر الصغير الوحيد ليروي حقول الذرة البعيدة... لكنه انتبه أن الأبطال شاخت وسوف تنتفض عليه، لتحصل على نهاية تليق بهم، فقرر أن يعود للبداية ويمسح الكلمات التي تدل عليهم.

مزاج

أن ألقي حجراً على شجرة جوافة الجار البخيل... فتسقطت الحبات الصفراء فطوراً للدجاجات... ولم أجني سوى صُراخه الخشن وعقاب ابي مساءا.

مزاج

أن أذهب بحذائي الجديد (صناعة الخليل) إلى مسجد الحارة وأضعه في مكان بارز ليسرقه الفتى.. لأجرب شعور أدم كيف مشى حافياً من الهند إلى مكة وهو يبحث عن حواء.

مزاج

اتعمد أن أصنع ثقوباً في جدران البيت لتبني الدبابير أعشاشاً لتطارد أولاد المخيم وترعب السيدة السمينة الوحيدة التي تنتعل كعباً عالياً في الصباح وتزعج نومي من طرقاتها...

مزاج

حين أشارك أصدقائي في رحلة صيد عصافير (الخضر والكراكز) كنت أقرأ ما أحفظ من آيات الإنجيل لتهربَ العصافير ونحمل الشبكة ونمضي وأنا سعيد...

مزاج

لا أستخدم الخيوط القوية(المصيص) في تحليق طائرتي الورقية حتى ينقطع الخيط لعل تهبط طائرتي في حقل سيدة يهودية خلف السياج الأمني لعلها تحبني..

وهذا ما أريده بعلاقتي مع الحب خفيف السكر وعجول ومع هبة ريح ينقطع الخيط وأهرب بعيداً.

هذا مزاجي فهل لك مزاج

مشاهد لا تشيخ في عقلي ...

***

أعمدة الإنارة الخشبية المتهالكة التي تحمل عشرات الأسلاك المتشابكة مهمتها صيد طائراتنا الورقية واستراحة رائعة للحمام المخيم المصاب باكتئاب من أقفاصه المركونة فوق القرميد...

***

شتلات البندورة التي نبتت عن تجمع ماء المطبخ بجوار الحائط الخلفي... ننتظرها بفارغ الصبر لتنضج ثمارها ونصنع حفلاً لعشاء خفيف..

***

العجوز التي تضع البيض الفارغ (القشرة كاملة) على أغصان الشجر لتطرد الحسد والأولاد من سرقة حبات الليمون...

***

ساعة الحائط المعطلة ولم نقدر على خلعها من الحائط خوفا من امي لأنها تعلق عليها صورة جدي ومسبحتها الطويلة التي تقارب عدد حباتها أيام فصل الشتاء...

***

صديقي كان يركض بسرعة ويتلوى ولا يمكن أحد أن يمكسه ولا يخسر أي لعبة بها ركض وجري... لكنه الوحيد الذي استطاع الجندي الروسي الضخم أن يمسكه بسرعة دون تعب ونحن فلتنا من الجنود... لكن يبدو كل الخبرات وقت الخوف لا تغني بشيء..

***

كنا نخلع الشوك عن لوح الصبر الأخضر الطري الصغير (البلابل) ونقطعه ثم نرش عليه ملح ونأكله.. طعمه يشبه فاكهة الكيوي في هذا الزمان... كنا نشبه شراهة الصينين في أكل كل شيء وحتى كنا نأكل مؤخرات الدجاج (الزعزوع)

المشاهد لا تشيخ لكن نحن نشيخ مع متلازمة الفقر المدقع...

مطلق المخيم، المحظوظ في المخيم من يحصل على تصريح عمل في الأراضي المحتلة، بل يصير محل اهتمام من الناس، ويحصل على التهاني والمباركات تكفي أن يبقى رأسه مرفوعا لمدة عشرة أعوام، كأنه حرر البلاد أو حصلت على شهادة الماستر في فقه الأديان، لا يهمه أن يكون الساعة الثانية ليلاً في السيارة لتنقله إلى حاجز (إيرز)، لكن هذا المحظوظ كان أكثر حظا حين عمل في مطبخ بيت عارضات الأزياء هناك، فكان ينام في غرفة غيار الملابس، ولأن التنقل اليومي مرهق جسدي ومالي، كان يمكث لمدة أسبوع في العمل، وعلى حسب قوله لماذا تركتك زوجتك ولم يستمر زواجكم سوى شهرين، أخبرنا: بأن إحدى عارضات الأزياء أخطأت بحقيبة الملابس الخاص ووضعت فيها ملابسها الداخلية والمكياج والعطور، وكان عليّ أن أغادر العمل كل مساء خميس وأعود لبيتي، زوجتي حين أفرغت حقيبتي ورأت ما رأت، فقارنت وقتها ملابسها بملابس عارضة الأزياء، وخرجت من البيت ولم تعد، لكن لماذا أخذت الحقيبة معها ولم تعد.

- ايرز حاجز للتفتيش بين قطاع غزة والأراضي المحتلة.

مقبول لحد ما... حين تقشرين المساء عني كبرتقالة عائمة على ماء البحر سقطت من سفينة كانت متجهة الي ميناء روما...

مقبول لحد ما.... أن تمطر وتبرقي وترعدي لكن لا تخيفي صغار الحي الذين يراقبوا النجوم والفئران من ثقوب بيتهم..

مقبول لحد ما... أن أغير نظارتي الطبية كلما كبرت ملامح التي تشبه خرائط الزلازل الخفيفة...

معقول لحد ما أن يصيح الديك مرة واحدة لكن أن يفقد تركيزه بالوقت وفي أي بيت تربي ويختار شباكي ويمارس عليه صياحه دون توقف...

مقبول لحد ما... حين نقتل وحش القصص بأن لا تسرق الأميرة مني وتركض من المخيم إلى المدينة التي لا يناسبها إلا ربطات العنق وشرفة تشرب بها القهوة أنت والأمير ومن ثم أصير أنا الوحش الجديد

من يرافقني

كل الذي أملكه رائحة القرفة التي كانت تشربها جدّتي لعلاج أي شيء، وأول لوحة رسمتها عن الربيع فلم تعجب المدرس لأنها كانت تخلو من النساء، وذكائي في التعامل مع حرف السين المجهول في المعادلات الحسابية، ومهارتي في أكل الحلويات رغم أني مصاب بأعصاب الأنسان. وتمثيلي الجيد أمام الطبيب لأحصل على كمية كافية من الدواء المجاني لأي مرض طارئ. كل الذي أملكه شعري المجعد الذي لا يحتفظ بالتسريحة الصباحية فأكمل يومي جميلاً. وتسعة كواكب تتحرك في كفاي وعاشرهم سبقني إلى مثواي الأخير. من يرافقني وأن أصعد الدرج مبلل الجوارب وأطرافي شاحبة وباردة ونقاط الوجع تنشط في جسدي كأنها كجراد منتشر.

الموسيقى جاءت من طرقات الرجل في الصخر ليجلب رغيفا... لكن كلما تذكر الماضي نحت من الصخر نساء بخصر يليق لرقصة البنادق الجائعة...

فجاء أحدهم فأخذ سبع نساء في القافلة الطويلة وترك واحدة في كل قارة ليقطفن عناقيد العنب من قمم الجبال...

لكنه ترك في مدينتا الكسولة فلم نأكل العنب ولم نجيد الرقص لنستقبل المطر كما يليق...

وحين نهضت المدينة من نومها متأخرة لم ترش العطر ولم تلوح لقوس قزح... فجئنا نحن بملامح عابسة كأننا نقاتل الأسود في مسرح روماني قديم...

نأسف للإزعاج أعمال على الطريق...

نأسف رصيد هاتفك نفذ/ لا يمكن ان تأخذ دين بعد ذلك من البقال/ لا علاج لصغيرتك التامين الصحي منتهي/ نأسف كمية الطحين لا تكفي لخبز أرغفة ساخنة لهذا الفلافل...كرت رصيد الكهرباء لا يمكنه تشغيل ضوء الحمام.. نأسف على عطل مراوح التهوية في المسجد وعليك الصلاة بخشوع في هذا الجو الحار جداً/ عرفنا أنك كاتب لطيف لا يمكن أن تعمل شيال في السوق...

رغم كمية الأسف منكم اتجاهي لكن أنا سعيد...

نظرة صائبة، أن تصنع من علبة التبغ الفارغة بيوتاً ومساجداً وشوارعاً وكنساً، وتبدأ يوميك متى تشاء، وتأخذ إجازة قبل الزحمة، وتعرف نفسك كفاقد للذاكرة، وتضع عطراً يناسب الراحلين دون قصد علهم يشاركوك المقاعد تحت النوافذ العالية، وتأخذ نفساً عميقاً أعمق من بئر يوسف وتنتظر القافلة المحملة برفاقك القدامى وتختار ما يناسبك لثرثرة وقت الظهيرة، أو تعمل إسكافي عند بوابة قلعة برقوق تصلح الثقوب التي تركتها القذائف في أحذية الأطفال الملونة.. وتفرغ جيوبك من دواء القالون العصبي، فأنت مجهز الآن لتقليم أظافرك فوق أعلى مبني في مدينك الجديدة وتقفز وتعيد شغف الطيران دون أجنحة

نوافذ اللوز

القطة التي سقطت عن جدار جارتنا التي تنشر ملابس الشتاء لتتفادى أول موجة بردٍ ستأتي دون علم الأرصاد الجوية...

وهذا الرجل الذي يحك رأسه ليتذكر أين وضع كرت التموين في أي جيبه ليلحق أكياس الطحين الأكثر جودة

وهذا الحافلة الطويلة التي باتت على الرصيف منعتي من مراقبة السيدة المسرعة صاحبة الحقيبة البنية الكبيرة

والشمس التي تشوي إطارات السيارة في موقف الركاب الذين يتناقشون حول الصيف الطويل وبدأ موسم الزيتون

بعد كل هذا لابد أن تغلق نوافذ اللوز

هذا الفتى أراهن عليه، أن يحمل عشرة أكياس كبيرة من الشعير، ولا يثرثر كثيراً، ويمكنه أن يغسل وجه بكوب من الماء ويجلس عند مدخل المدينة يساعد رفاق السلاح أن يزوروا نسائهم نهارا وهو يرصد لهم تحركات الجنود، وفي الليل يوزع المنشورات ويكتب على الحيطان أسماء الشهداء وتواريخ ميلادهم دون أن يشعر به أحد، وأن يعلق العلم على عمود الكهرباء (الضغط العالي)، يمكنه أيضا أن يغني في المناسبات الوطنية، ويداه قوية يمكنه أن يفرغ شاحنة البطيخ بسرعة، ويظل واقف تحت المطر لينظف أصابعه من بقايا البارود، ويحمل صناديق الشاي لدكانين البعيدة، ويراقب جدول حضور الماء، ويمكنه أن يوفر الشمع وأعواد الثقاب ويصلح فوانيس الكاز الأبيض، وفي الصباح يملئ حقيبته حجارة مدورة وخشنة ليمنع مركبات الجنود أن تدخل المخيم وقت ذهاب الأولاد للمدرسة في الصباح..

هذا الفتى أراهن عليه، أن يأتي آخر ويكتب اسمه على الجدارن بخط عريض أسود.

هل أنا موجود هناك، منذ عشرة دقائق كُنت تتأمل ضوء السيارات الحديثة، وقلق السيدة التي تنفض قشور بذور عباد الشمس عن وسائد غرفة الضيوف قبل تفقد لونها البراق، وكنت تراقب الكرة البلاستكية التي قفزت من النافذة العالية ولم تفلت من عجلات الشاحنة المحملة بالبهارات الهندية، وكنت بلهفة الدهشة تحرك عنقك، تظهر كهلال مقوس يدل على الخشوع، بنظراتك تحرك ملكات النحل لتلسع الكسالى، كأنك أحد الحوارين يوزع خبزاً مغلفاً بقماش أبيض للمارة، كنت حليق الذقن وترتدي قبعة صوفي. وكنت تسرق جزء يسير من خوف المارة وتعطيهم جزءً كبير من شجاعة اللغة في حناجر الكُتاب..

[لحظة، هل يوجد صوفي حليق الذقن]

هل ستقرضني مالا

لأشتري مناشف طرية فسطح بيتي مثقوبٌ والشتاءُ لا يعرف أحد غيري من الفقراء وعابري السبيل، أو أصلح ثقب أذني من الحرب الأخيرة لأسمع ماذا فعلته من سرقة الأرواح وسرقة الموسيقى ولماذا كسرت حدائق الفراولة المعلقة، لأشتري طبلة وعصا لأعمل مسحراتي فأنا أجيد كتابة مدح الصالحين قبل الدخول في نوم نهار الصوم.. أو أربي أرانب هولندية وأبيعها لنساء المخيم وقت الولادة، أو أفتح دكان جدّي القديم وأنظف المذياع وأصلح كراسي القش، وأرتب صناديق الشاي الخشبية وأكياس السكر وأنظف فتحات التهوية وأصير جدّي بنسخة جديدة. هل ستقرضني مالاً ووقتاً طويلاً للسداد.. فأنا لا أجيد سوى كتابة النصوص المجانية قليلة الملح والتوابل...

هل من شيء مضحك يا سيدي، كل الذي فعلته أني علمت الأولاد كيف يطحنوا الطباشير الملون ويعطوه لمهرج المخيم الفقير، وأن لا ينتبهوا إلى مدرس الجغرافيا لأن الدول تغير حدودها كلما زاد عدد الجنود الأغبياء، وحين يسمعون صوت الطائرات يرقصوا أولا ويفتحوا النوافذ صيفاً وشتاءً ومن ثم يصمتوا فالموت يحب الأكثر ثرثرة، وأن يبللوا ورق الدفاتر بالكاليونيا فالنساء تمارس الإغماء والارتخاء قبل البكاء وبعد البكاء على أي خبر طازج فيه رائحة البارود... وأن يسرقوا شعراً من ذيل الحصان فعازف العود لم ينتبه بأن الأوتار شاخت وإننا نحب أن نغني بعد أن نشفى من تصلب عضلات الرقبة وقت الحرب.. كل الذي فعلته أن تركتهم يأخذوا خروف العيد بنزهة في الممرات الضيقة ليمتطيه الصغار ويقلدوا صوته...

وجدتك مبتسماً عند مدخل الشارع، مبتسماً
كأنك أحد مصممي فساتين النوم لعارضات الأزياء.
كأنك حصلت على جواز دبلوماسي أحمر وكلب
أبيض، كأنك شفيت من ملازمة عسر الهضم التي
أصابتك من مقلي الباذنجان، ابتسامتك أكبر من
سعادة مربي العصافير حين انفجر أحد عصافيره
النادرة بالغناء، لأنك كذلك طرحت عليك التحية
العسكرية كمتقاعد متألم من شظية أصابته في
الحرب الأخيرة...

لأنك كذلك سأعطيك نيزكاً قرمزياً قد سرقته من
أول رجل فضاء صعد للسماء وكان يريد أن يهديه
لزوجته عبوسة الوجه، وفرحة العنكبوت الصغير
حين صاد فراشة كبيرة في زاوية الغرفة رغم خبرة
القليلة في جغرافيا بيتنا.

[أنا أبتسم في وجهك يا عزيزي لتمحني سيجارة
أدخنها قبل أن يبدأ نهار رمضان]

يا ليت معي الكثير من الشواقل لأشتري لك السجق والحليب المالح مع الخبز الإسرائيلي، واشتريت المناديل الملونة وعلقتها على ضوء الغرفة، لكن أخاف أن تسرقها الغيمة المصابة بالزكام، ولو كنت أطول من ذلك ما خسرت ثمن تقصير بنطالي عند الخياط ذو الأنف الطويل والوجه المستطيل، ولو كنت صاحب عضلات لصرت عسكرياً ورافقتك وأنت تتسوقين الخضروات والرمان من سوق الأربعاء، لو عندي متسع من الوقت لذهبنا معا لنظف كروم العنب من الحلزونات البيضاء ونعلقها على السياج الحديدي وأكتب لك أحبك، ولو عندي بخاخة ألوان حمراء لكتبت لك على الجدران خدك أطرى من حبة الطماطم، ولو كنت خبير في تعديل صور البطاقات الشخصية لعدلت صورتي التي تبدو كأبله المدينة، لو كنت سريعاً جداً لحصلت على عمل في تهريب الدخان المصري عند الحدود، لكن ليس كل ما يتماه الفتى يدركه..

يحتفظ بمكان بارد...

تعبك الطويل وأنت تحول الغيوم العابرة لحلوى عزل البنات.... لهفتك في كتابة نص لسيدة فقدت صوتها في حدائق برتقال يافا.... أخر مرة لبست بها ربطة عنق حمراء على قميص أبيض ناصع... أول مرة حشوة جيوبك بقطع حلوى التقطها في تشيع أول شهيد بالمخيم... عليك أيضا الاحتفاظ بمكان بارد جدا حين أخبرك الحلاق بان هناك ثلاث شعرات بيضاء في رأسك ونسى أن يخبرك بأن الصلع بدأت معركته...

عليك أن تخبر العالم بأن الكاتب لا يصنع قهوة تليق بأبطال الرواية..

الرجاء الاحتفاظ بهذا القلق بمكان بارد جدا

يمكنني الحصول على فطيرة قرفة محلاه، وجزء من الهدوء التام كهدوء القط قبل أن يصطاد، وقاموس اللغة البسيطة، فتتوقفي عن طرح الأسئلة وأنت تفرمي البصل حتى لا تختلط أنواع الدموع عليّ، ورتبتي فوضي الملابس الجافة، أنا أشعر بقلة الإتزان كقارب مربوط يحرس حجارة الميناء المتآكلة من الملح والصياد النائم، سأدفع لك نص ما أملك في جيبي لو وجدت نصي الأخير الذي نسيته على المقعد الخلفي في سيارة الأجرة، وكل ما أكتبته الآن أحاول أن أتذكره.. يمكنني أن أغلق الباب وأغار لأبحث عن نصي الأخير في المحطة البعيدة.

يومان

يومان لا يكفيان لينهض الثور مرة أخرى بعد قتال ضاري في حلبات المصارعة الإسبانية... وأيضا لا تكفيان لتصلح الأشجار أغصانها المتكسرة من رقص الفيل خفيف الظل في المحمية الطبيعية... طبعا لا تكفي لتختفي آثار خاتم الخطوبة عن إصبع أحدث أرملة في السجلات المدنية... يومان لا تكفيان لتعويض نقص النوم من العمل ليلاً في مصنع المثلجات الملونة... وبكل ثقة لا تكفيان لإزالة أثار أول سيجارة دخنتها مع مدرس حساب المثلثات عن زوايا الذاكرة .... ولا تكفيان ليهدأ احمرار وجهي من طيب الأسنان الذي أخبرني أنت بحاجة لطقم أسنان كاملة متحرك... لكن الذي أعرفه أنهما يكفيان: واحد لحياة والآخر للنوم الكبير..

[رتبت البرزخيات حسب الترتيب الأبجدي لأن
وقت كتابتها كان التاريخ يكرر نفسه]